تراث الإنسانية

NYROUF

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية

لابن البيطار

د. عبدالحليم منتصر

الهيئة المصرية العامة للكتاب



مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥



مهرجان القراءة للجميع ٩٥
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية
لابن البيطار
د . عبدالحليم منتصر

١ ـ ابن البيطار

هو أبو محمد عبدالله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي المالقي المشاب المعروف بابن البيطار، امام النباتين وعلماء الأعشاب ، ولد في الربع الأخير من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) من أسرة ابن البيطار في مالقه ، كان من شيوخه في علم النبات أبو العباس النباتي، الذى كان يجمع النباتات من منطقة اشبيلية ، ولما بلغ العشرين من عمره ، جاب شمال

أفريقيا ، ومراكش ، والجزائر ، وتونس ، لدراسة النبات ، وعندما وصل الى مصر ، كان على عرشها الملك الكامل الأيوبى ، التحق بخدمته فعينه رئيسا على سائر العشابين ، ولما توفى الكامل ، استبقاه فى خدمته ابنه الملك الصالح نجم الدين الذى كان يقيم فى دمشق ، وبدأ ابن البيطار من دمشق يدرس النباتات فى الشام وآسيا الصغرى بصفته طبيبا عشابا ، وكتب مؤلفيه اللذين اشتهر بهما ، وهما ثمرة دراساته العلمية والعملية ، أولهما كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، وهو مجموعة من العلاجات البسيطة المستمدة من النبات والحيوان والمعادن ، جمعت من مؤلفات الأغارقة والعرب ومن تجارب المؤلف خاصة • وثانيهما ، كتاب المغنى فى الأدوية المفردة فى العقاقير ، تناول فيه علاج الأعضاء عضوا عضوا بطريقة مختصرة كى ينتفع به الأطباء • وكان ابن أبى أصيبعة تلميذا لابن البيطار ، صحبه فى رحلاته وأسفاره للكشف عن النباتات

فى منطقة دمشق . ومن عجب أن ابن أبى أصيبعة لم يعطنا معلومات وافية عن أستاذه ابن البيطار . وقد عاش ابن البيطار نحو سبعين عاما ، وتوفى عام ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) . وقد ترجمت كتبه الى اللغات الأجنبية .

٢ ـ كتابه الجامع

يقول ابن البيطار في مقدمة كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، انه قام بوضع كتابه فى الأدوية المفردة فى أربعة أجزاء ، تنفيذا للأوامر المطاعة الملكية الصالحية النجمية (١) ، يذكر فيه ماهياتها ، وقواها ومنافعها ، ومضارها ، واصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من جرمها أو عصارتها او طبيخها ، والبدل منها عند عدمها ، وأنه قد توخى فى ذلك تحقيق ستة أهداف ، الأول استيعاب القول فى الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام، والاستمرار عند الاحتياج اليها فى ليل

(١) يريد الملك الصالح نجم الدين أيوب .

كان أو نهار ، يقول وقد استوعبت فيه جميع ما فى الخمس المقـــالات من كتاب الأفضـــل ديسقوريدوس بنصه ، وكذا فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جالينوس فى الست المقالات من مفـــرداته بنصـــه • ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين فى الأدوية النباتية والمعدنيـــة والحيوانية ما لم يذكراه ، ووصفت فيهـــا عن ثقات المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه ، وأسندت فى جميع ذلك الأقوال الى قائلهـا ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها، والغرض الثانى : صحة النقــل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين، فما صح عندى بالمشاهدة والنظـــر ، وثبت لدى ، ادخرته كنزا سريا ، وأما ما كان مخالفـــا فى القـــوى والكيفيـــة والمشاهدة الحسية فى المنفعة والماهية ، نبـــذته ظهـــريا ، ولم أحاب فى ذلك قديمـــا لسبقه ، ولا محدثا اعتمد غيرى على صدقه ، والثالث : ترك التكرار الا فيما تمس الحاجة اليه لزيادة معنى وتبيان ، والرابع : تقريب مأخذه بحسب

ترتيبه على حروف المعجم ، والخامس : التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط لمتقدم أو متأخر ، لاعتمادى عـلى التجـربة والمشاهدة ، والسادس : ذكر أسماء الأدوية بسائر اللغات.

ذلك دستور ابن البيطار فى كتابه الجـامع لمفردات الأدوية والأغذية ، وهو يتضمن صورة صادقة للطريقة العلمية التى اتبعها ابن البيطار فى تأليف كتابه ، انها الاعتماد على المشـاهدة والتجربة ، وذكر المصـادر التى نقـل عنهـا ، وتحرى الصدق والدقة . وسنعرض فيما يلى نماذج مما تناوله من نبات وحيوان ومعادن .

أولا : فى النبات

يقـول فى نبـات « الوسخ » : اسم يونانى أوله الفـان الأولى مهموزة ممدودة والثانيـة هوائية ، ويسمى حشيشة النجـاة ، وحشيشـة السلحفاة ، نبات ذو سـاق واحدة ، وله ورق مستدير ، وله فى أصول الورق ثمر فى شـكل الترس ذو طبقتين فيه بذر صـغير ، ينبت فى

أصغر منه ، وأعلاه مشقق وله عيدان خمسة أو ستة طولها نحو من شبر وزهر أبيض ، وثمر أسود صغير قابض ، وعيدان هذا النبات وورقه مملـوءة رطـوبة • وعن الأذريون صـنف من الأقحوان ، منه ما نواره أصفر ومنه ما نواره أحمر ، ثم آذان الفار البستانى ، وآذان الفار البرى آذان الأرنب •

وينقـل عن أبي حنيفـة قوله في الأراك • أفضل ما استيك به ، بأصله وفروعه من الشجر وأطيب ما رعته الماشية رائحة لبن ، وهـو ذو فروع شائكة ، وثمره فى عناقيد ، وتكلم عن الأذخر ، والأسل ، والآس • يقول ينمو بأرض العرب بالسـهل والجبـل ، وخضرته دائمـة ، ويسمو حتى يكون شجرا عظيما ، وله زهـرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرة سوداء اذا أينعت ويقول فى الأشنة • المعروف بشـيبة العجوز ، الجيد منها ما كان اعلى شجر الشربين ، وكانت جبلية ، وبعدها ما يوجد على الجوز ، وأجود من هذه ماكانت أطيب رائحة ، وكانت بيضاء ،

وما كان منها لونه الى السواد فانه أردؤه ، ثم ينقل عن ديسقوريدوس وجالينوس ، وابن سمحون ، واسحق ابن عمران ، وعبد الله بن صالح ، والرازى ، وابن سينا ، ومسيح الدمشقى وغيرهم من أطباء العرب ، ينقل آراءهم فى كيفية التداوى بها ، وكيفية صنع الدواء منها .

وكذلك تحدث عن الأشخيص والأشنان وقال انه أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، والأشنان هو الحرض ، وهو الذى يغسل به الثياب ، نبات لا ورق له ، وله أغصان دقاق شبيه بالعقد ، وهى رخصة كثيرة المياه ، ويعظم حتى يكون له خشب غليظ يستوقد به ، وناره حارة جدا ، ورائحة دخانه كريهة ، وطعمه الى الملوحة ، وهو مع الحمض . وعن الأفسنتين ـ نقلا عن الشريف الادريسى ، نبات مملس ، يلحق بالشجر الصغير ، قدر نباته ، يقوم على ساق ، ويتفرع منه أغصان كثيرة ، وعلى الأغصان أوراق كثيرة متكاثفة ، بيض الألوان ، تشبه

الأشنة فى تخبيطها ، وله زهر أقحوانى صغير أبيض فى وسطه صفرة تخلفه رؤوس صغار فيها بذر دقيق ، وفى طعمه قبض ومرارة .

ويقول عن « الأفيون » لبن الخشخاش الأسود ، لا يعرف الا بديار مصر وخاصة بالصعيد بموضع يعرف بأسيوط ، فانه منها يستخرج ، ومنها يحمل الى سائر البلدان ـ وعن أمير باريس هو البرباريس منه أندلسى ورومى وشامى ، يجلب من جبل بيروت وجبل بعلبك وهو أجود من الرومى عند باعة العطر بمصر والشام ، وهى شجرة خشنة النبات خضراء ، تضرب الى السواد، تحمل حبا صغيرا بنفسجيا ـ وأسهب ابو البيطار فى الحديث عن الأنجدان، والأنيسون والأنجرة وأنا غالس ، والأيهقان ، والبابونج وقال انه ثلاثة أصناف ، والفرق بينها فى لون الزهرة ، وله أغصان طولها نحو من شبر شبيه بأغصان التمنش ، وفيها شعب وورق دقاق صغار ، ورؤوس مستديرة صغار

في باطن بعضها زهر أبيض ، وفى بعضها زهر مثل لون الذهب ، وفى الذى ظهر من الزهر على الرؤوس يظهر باستدارة حولها ، ويكون لونه أبيض وأصفر وفرفيرى ، وهو فى قدر زهر السذاب ، وينبت فى أماكن خشنة وبالقرب من الطرق ، ويقطع فى الربيع - وتكلم عن البان والبرنوف والبرواق وبزر قطونا والبشمة

وقال اسم حجازى للحبة السوداء وعن البشنين يكون بمصر ، ينبت فى الماء اذا أطبق النيل على أرض مصر وله أصل يشبه السفرجلة ، ويؤكل نيئا ومطبوخا ، وطعمه مطبوخا يشبه صفرة البيض ، نباته نبات النيلوفر • كما أورد البطم

وقال هى الحبة الخضراء ، تنبت بالجبال وعلى الحجارة والشجرة عيدانها خضر الى السواد وحبها أخضر ، وفى لحائها وورقها وثمرها شيء قابض • وقال عن البلسان انه شجر

لا يعرف نباته اليوم بغير مصر خاصة فى الموضوع المعروف منها بعين شمس ، عظم شجرته مثل عظم شجرة الحبة الخضراء ، وله

ورق شبيه بورق السذاب ، غير أنه أشد بياضا. وأدور ورقا . ويقـول عن الثلثان هو عنب الثعلب ، وعن الثمام ، معروف بالديار المصرية، وهـو المرعى ، وهيئـة ورقه عـلى هيئـة ورق الزرع (٢) وقضبانه ذات كعوب ككعوب قصب الـزرع ، الا أنهـا مصمته وهي أرق وأطـول وورقه كذلك ، وهو ينبت متدوحا ، وأصـوله لحمية متشعبة ، ويخرج سنابل على شكل سنابل الدخن البرى ، وطعمه كله حلـو ، وسـنابله مسودة . وكذلك وصف الثوم والثيل والجاوشير والجلنار، والجلبان وجوزبوا وهو جوز الطيب، في قدر العفص سهل الكسر ، رقيق القشر ، طيب الرائحة .

وفي الجزء الثاني من كتاب الجامع ، عالج ابن البيطار مئات أخرى من أنـواع النبـات والحيوان والمعادن مما يتطيب به ، فتكلم عن

---

(٢) يريد القمح .

حب الزلم ، وحب الملوك ، وحب الرشاد وحب القلب ، وحب الفلفل الحدق ، والحرمل والحزنبل والمسك والحضض والحلبة والحلتيت والحماض والحنظل والحندقوقى والخس والخروع والخشخاش والخلاف والخلنجان وخيار شنبر والدار صيني والدفلى، والرواند والريرق والرازيانج والرتم والريباس والزقوم والزنجبيل والزبزفون ٠

ولقد تابع ابن البيطار عرضه لمفرداته فى الأجزاء الأخرى من كتابه ، مرتبا اياها على أحرف المعجم ، موردا آراء كل من تقدمه من العلماء ، مضيفا ما رآه بنفسه فلم يترك كمونا ولا كركما ولا كراوية كذلك اللبخ واللبلاب واللوف والمحلب والمحمودة والمر والنارنج والنارديم والهنديا والياسمين والبيروح واليتوع والينبوت وغيره كثير من أنواع النبات ٠

ثانيا : في الحيوان

تنـاول ابن البيطار عـددا غير قليـل من الحيوانات ، التي يتخذ منها عقارا أو ينصح بالتداوي بها على نحو من الأنحاء ، فتكلم عن ابق عرس ، و « اثرا » صـنف من الطير ، وأرنب برى وأرنب بحرى ، وهو حيوان بحرى صـغير صدفي الى الحمرة ، وأسد الأرض وهو الحرباء ويسـمى باليـونانية « خاماليون » والأفعى ، والأوز والابل والبط والبقر وتدرج وهـو طائر مليح بأرض خراسـان والتمسـاح والتن وهو الحوت والثعلب والجراد وجراد البحر له رأس مربع ما هو ، وله فيما يلي رأسه صـدف خزفي وبعضه لا خـزف عليـه ، ولها من كلا الجانبين عشر أيد طوال شبيهة بالمناكب الا أنها كبار جدا ، ولها قرنان دقيقان قائمان ، ولهـا في مواضع شـواربها قرنان دقيقـان وعينـان بارزتان متدليتان من رأسها ٠

والجمل ، وقال عن « الحباحب » انه حيوان له جناحان كالذباب يضيء بالليل كأنه نار ، والحبارى ـ طائر كبير العنق رمادى اللون ، فى منقاره بعض الطول وهو مشهور ، لحمه بين لحم الدجاج والبط ، والحبرج وهو طائر معروف فى الديار المصرية مشهور بها وقال عن الحدأة ، طائر معروف كالبازى يأوى الى المدن والعمارات . والحرذون قريب من طبع الورل . والحرجول نوع من الجراد ، والحرباء والحلزون والحلم وهو القراد ، والخراطين وهى الديدان التى اذا حفر الانسان أو حرث فى الفدان وجدها تخرج من الأرض . اذا سحقت ووضعت على العصب المقطوع نفعته . والخفاش قال : هو الوطواط وسمى خفاشا لصغر عينيه وامتناع بصره فى النهار ورؤيته بالليل ـ كما تكلم عن الخنفساء ومنافعها واستعمالاتها فى الدواء وكذا الخنزير والدب والدج والدارج والدلفين

والذئب والرخمة والرعاد وهو الحيوان البحرى الذى يحدث الخدر • يقول ابن البيطار وقد ذكر قوم أنه اذا أدنى من رأس يشتكى الصداع. سكن صداعه واذا أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدته أصلحها ، ولكن قد جربت أنا الأمرين جميعا فلم أجده يفعلها ولا واحدا منهما، ففكرت فى أن أدنيه من رأس صاحب الصداع والحيوان حى بعد ، لأننى ظننت أنه على هذه الحال يكون دواء يسكن الصـداع بمنزلة الأدوية الأخـرى التى تحد من الحمى فوجدته ينفع ما دام حيا • ولعله تنبه الى أن أثر التيار الكهربائى الضعيف الذى يصـدر عن الرعاد لا يكـون الا اذا كان الكائن حيا ، ولهذه الملاحظة قيمتها •

وذكر أيضا الروبيان (الجنبرى) بيد أنه قال هو سمك بحرى يسميه أهل مصر القرندس وأهل الأندلس يعرفونه بالقمرون • والزرافة

والزمج والسقنقور والسلحفاة والسلوى والسمانى والسمك وسميكة صيدا والسمور والسنجاب والسنور والسيبيا والشبوط قال هو ضرب من الحوت ، والشحرور « وشفنين بحرى » وهى دابة بحرية شكلها شكل الخفاش و « شنج » وهو الحلزون البحرى الكبير المقرن الجوانب وهو نوع من الحلزون عظيم غليظ الوسط مستدير الطرفين « وشودانيق » طائر معروف والصقر والضأن والضبع والضفدع والطاووس والطيهوج وهو طائر والعصافير والعظاية والعقرب والعقاب ، العقعق والعلق يقول وتقوم مقام الحجامة والعنكبوت والفأر والفاختة والفنك والقبيح وهو الحجل والقنفذ والقنبرة والكركى والماعز والنسر والنعام والنمل والنمر والورل والهدهد ويربوع ٠

وكذلك أورد ابن البيطار فى جامعه عددا من المعادن والأحجار التى يتداوى بها أو تدخل فى تركيب الأدوية، فذكر الآبار، وهو الرصاص الأسود، يقول وزعم بعضهم أنه اذا أحرق سمى كذلك . وقال عن الأثمد حجر يخالطه الرصاص ، ويروى عن اسحق بن عمران هو حجر الكحل الأسود ، يؤتى به من أصفهان ومن جهة المغرب وهو حجر أسود صلب ، ملمع براق كحلى اللون « وارتكان » حجارة صنار صفر رخمة اذا أحرقت احمرت واكتمكت ويسمى حجرالنسر قالأنه نافع لعسر الولادة ، والبورق، يقول أنواعه مختلفة ، ومعادنه كثيرة كمعادن الملح ، منه ما يكون أحمر وأبيض وأغبر وألوان كثيرة والنطرون وان كان من جنس البورق ، فان له أفاعيل غير أفاعيل البورق ، منه أرمنى

ومصرى ، والتوتيا ثلاثة أجناس منها بيضاء ، ومنهـا الى الخضرة ومنهـا الى الصفرة مشرب بحمرة ومعادنها على سواحل بحرالهند، وأجودها البيضاء ، والجبس والجزع وهو حجر معروف وهو صنفان يمانى وصينى ، وجمشت ، حجر بنفسجى ، صبغه مركب من حمـرة وردية وسماوية ـ وحجر يهودى ولعله يريد زيتـون بنى اسرائيل وهو حجر بفلسطين شبيه فى شكله بالبلوط أبيض بالبيـكار (بريد الفرجار) ، وهو حجر ينماع بالماء لا طعم له ، يفتت الحصاة المتولدة فى المثانة ، وقد دلت البحوث الحديثـة عـلى أنه حيـوان متحجر من عصـور جيولوجية قديمة وأن به نسبة من أملاح ثانى الكربونات والسترات ، تدر البول. والحديد قال ويستعمل فى مداواة الأمراض عـلى ضروب كثيرة هـــو وبرادته وخبثـه وزنجـاره ، وماؤه وشرابه اللذان يطفأ فيهما وهو محمى .

ويقول فى الذهب نقلا عن ابن سينا ، انه معتدل لطيف سمالته تدخل فى أدوية السوداء ، وأفضل الكى وأسرعه برأ ما كان يكوى من ذهب ، وامساكه فى الفم يزيل البخر وتدخل سمالته فى أدوية داء الثعلب وداء الحية طلاء وفى مشروباته ، ويقوى العين كحلا .

كما تحدث ابن البيطار عن الرخام والرصاص والزرنيخ والزمرد والزنجار والزئبق والسنباذج والسنجفر وهو الزنجفر والشاذنج أو حجر الدم والشب والشبهان وهو النحاس الأصفر والطلق .

ثم ذكر العقيق والفضة والكبريت .

وتحدث عن الأكحال فهذا كحل السودان وكحل فارس .

كما ذكر اللازورد واللؤلؤ .

واورد من الأحجار مرهيطس ومرطيس ومرداسنج ومرقشيا والمرمر والمغنيسيا والمغناطيس والمها والنطرون .

ثم تكلم عن النحاس والياقوت .

كذلك تكلم ابن البيطار عن كثير من الأدهان فذكر دهن الأبرسا ودهن الزعفران ودهن الحناء ودهن القيصوم ودهن النرجس ، ودهن الورد ، ودهن البابونج ، ودهن السفرجل . كما تكلم عن الأطيان (جمع طين) فذكر طين أرمني وطين نيسابورى ، وطين حر ، وطين كرمى ، وطين جزيرة المصطلكى ، وطين نيموليا وغيرها ، ولكل فوائده ، ولكل استعماله الخاص .

لقد اتبع ابن البيار نفس المنهج الذى تبعه غيره فى هذه الصناعة ، انه نفس النهج الذى ارتضاه ابن سينا ، وداود ، ونفس الترتيب الأبجدى الذى فضلوه على غيره من طرائق الترتيب ، وأنه لدائم الاستشهاد بأقوال أئمة الصناعة من أمثال ابن سيناء ، وجالينوس ، وأبقراط ، وديسقوريدوس وغيرهم • ولعله شايعهم كذلك فيما تأثروا به من معتقدات وما قالوه من وصفات وما آمنوا به من ألوان العلاج ، فهو فى ذلك مقلدا أكثر منه مبتكرا ، ولا أكاد أتبين تفرده فى طريقة أو تميزه بمنهاج • وليس معنى ذلك أن نجحد فضله فيما أورد من معلومات عظيمة النفع كبيرة القيمة •

مالا يتفق والذوق العام والطب الحديث

ولم يسلم ابن البيطار ، من ايراد كثير مما لا يتفق والذوق العام كقوله : ان زبل التمساح يزيل بياض العين ، واذا علق قلب العبارى فى خرقة على من يكثر نومه منع عنه النوم ، وأنه اذا علق قلب الحرذون على صاحب حمى الربع فى خـرقة سـوداء أبرأها وأزالها ، وأن رماد الوطواط يحد البصر ، أو أن يعلق نبات ما على العضو الذى يتألم فيسكن ألمه ، أو أن زبل الذئب يسقى لمن كان به وجع القولنج ، أو أن دم هذا الحيوان اذا قطر فى الأذن سكن وجعها .

لقد حفل جامع ابن البيطار بكثير من أمثال ما ذكرت ، مما لا أظنه جربه بنفسه ، ولعله شايع فيه العامة ، وقد تنبه هو نفسه الى ذلك فى بعض الأحيان حين قال عن سمك الرعاد انه

يزيل الصداع ، فقال انه جربه بنفسه فلم ينتفع وانما تبين آثره حين كان السمك حيا وحبذا لو ذكر لنا أنه جرب كثيرا مما أورد ليثبت لنا نفعه من عدمه •

ومع ذلك فلا أظن الذوق العام أو الطب الحديث يسيغ الكثير من أمثال ما ذكرت ، ولا أظنه مما يسيغه الرأى العام المثقف أن يلجأ الى هذه الوصفات ، ويترك العلاج بالذرة والمضادات الحيوية والأشعة وما أشبه من مستحدثات العلم فى العصر الحديث ، فضلا عن الأمصال والحقن والجرعات ذات الفيتامينات والهرمونات مما يكون له تأثير مباشر فى علاج هذا المرض أو ذاك •

خاتمـــة

وبعد • فلا مراء فى أن مفردات ابن البيطار تغلب فيها المادة الطبية ، التى أجهد نفسه فى جمعها وترتيبها وتبويبها ، فهو فى كتابه هـذا طبيب أكثر منه عالم • ولا شـك أن الكتـاب يحوى كثيرا مع المعلومات المفيدة ، تحتاج الى متخصصين يعنون بتحقيقها ، وتعريف الناس بها ، ولعل بعضها أن يفيد فيما يزال مستعصيا عـلى الطب الحـديث والعلم الحديث ، أو لعله يثبت أن الطريقة القديمة ليست شرا كلها كما يعتقـد البعض ، وأن فيهـا بعض الخير ، اذا أحسن استعمالها ، وليس معنى هذا أننا ندعو الى العود الى الطب القديم فى عصر الذرة ، ولكن الذى وقر فى ذهنى أن فى هذا القديم كثيرا من الخير ، أو على الأقل بعض الخـير يمـكن لذوى الخبرة والاختصاص أن يستخلصوه ، وأن يجلوه

على النــاس مبرأ مما علق به من خزعبــلات أو أوهام .

وعندي أن ابن البيطار قد تميز في مفرداته بسلامة العرض وأمانة النقل ، مما يجعله بحق من أئمة أهل الصناعة في زمانه .